

رئيس التحرير
عماد الغزالي

رئيس مجلس الإدارة
صلاح عيسى

مدير الموقع | مصطفى طاهر

أسبوعية ثقافية عامة تصدر عن وزارة الثقافة المصرية

الأخبار | ملفات خاصة | تحت الطبع | تجليات | شاشات | كتب ومراجعات | مسرح | تشكيلي | كتابنا | فيديو | فسحة | موسيقى | الأظيرة

تحميل العدد الإلكتروني

العدد 808 | 19mb

تشكيلي

قاعة أفق تحتضن «طلسم» الفنان الراحل حامد عبد الله



كتبت: د. إيناس حسني. آن أوآن للاحتفاء بالفنان التشكيلي المصري "حامد عبد الله" (1917-1985) ونفض الغبار عن أحد الرواد الذين لم ينالوا حق قدرهم حتى اليوم. فقد قامت قاعة أفق بالتعاون

كتبت: د. إيناس حسني

آن أوآن للاحتفاء بالفنان التشكيلي المصري "حامد عبد الله" (1917-1985) ونفض الغبار عن أحد الرواد الذين لم ينالوا حق قدرهم حتى اليوم. فقد قامت قاعة أفق بالتعاون مع "كريم فرنسيس" بإقامة أول معرض استيعادي يتضمن بعض من أعماله خلال فترة حياته.

لا أظن أن فنانا مصرية استطاع أن يسيطر على مراحل فنه المختلفة مرحلة بعد مرحلة بأستاذية وإلهام لا يخطئ على تنوع هذه المراحل والتصاقها في آن مثل ما فعل حامد عبد الله..

المرحلة الأولى.. التشخيصية

في مرحلته الأولى التشخيصية كانت القامات الصرحية للإنسان بشموخها وسموها توحى وتستشرف. وكأنما تنبأ. بمرحلته الأخيرة الحروفية على تباين بل تناقض التقنية بين المرلحتين، في كلتا المرلحتين ما يتجاوز مجرد المحاكاة الواقعية أو نقل الظاهر المرئي إلى دور يجلبه الفنان بوسيلتين متغايرتين لكن بينهما صلة عميقة ومضمرة هي النزوع إلى تبسيط الظاهرة المرئية واختزالها إلى جوهرها وليس الوقوف على عرضها في لوحات مثل "في القهوة" (1938)، أو "الدلوكة" (1941)، أو "الخزف" (1947)، أو "السيادون في بورسعيد" (1948) وحتى في لوحات البورتريه الصريحة. مثل "تحية حلیم" (1941)، و"الفكر" (1935)، وهي بورتريه ذاتي للفنان نفسه مبكرا جدا رسمها عندما كان في الثامنة عشرة تتبدى هذه السمات الرئيسية: التخلي عن العرضي الظاهر من أجل الغوص في العميق المضمير الجوهري، لكن فيها كذلك ما استمر الفنان مفتونا به حتى النهاية: الشموخ التشكيلي السابق الذي يتجاوز الأرضي المسلم به إلى نوع من الصرحية المعمارية وأبرز مثال على ذلك لوحته الرائعة "الأمل" (1946)، حيث ترتفع قامة الفلاح. أو ابن البلد. في ثوبه الأبيض وذراعيه مرفوعتين إلى السماء بقوة وكبرياء..

المرحلة الوسطى.. طفولية.. بدائية.. فلكلورية..

في المرحلة الوسطى نجد عنده إحياءات فلكلورية أو بدائية، مثل، "شم النسيم" (1954)، "ضمير الأرض" (1952)، «السلطة» (1954)، أو "فلاح وفلاحة" (1958)، يقتصر الفنان هنا على الخطوط الخارجية التي تكاد تكون بدائية. أو طفولية لكنها تنم بقوة وبساطة عن فكرة وحسه بل توحى أحيانا بروح من السخرية والمرح واللعبانة أليس في الفن عنصر اللعب الأساسي الذي هو في نهاية التحليل جد صراح أكثر ما يكون جدية دون أن يفقد مع ذلك خاصية الانطلاق والحرية والدعابة التي هي من صميم اللعب.. هناك بالطبع تداخل وتزاوج بين منجزات هاتين المرلحتين.

للرحلة الأخيرة.. الحروفية

مرحلة الحروفية التي أبدع فيها الفنان "حامد عبد الله" أعمالا غير مسبوقه ولعل شيئا آخر في هذا السياق لم يلحق بها في تحويل الحروف أو الكلمات العربية إلى كائنات تشكيلية لها قوامها الخاص على محورين أساسيين: محور تعبيرى ومحور بنائى أو هندسي.

النشأة

ولد "حامد عبد الله" في عام 1917 بحى منبيل الروضة وتعود أسرته إلى أصول عريقة في صعيد مصر حضر والده ووالدته إلى المنبيل تلك الأرض الواسعة على ضفاف نيل مصر قبل أن تتحول إلى واحدة من أكبر أحياء القاهرة الآن، بدأ يرسم الطبيعة كما هي دون حذف أو إضافة لكنه كان يرسم بوعى تقنى أبهر من حوله فهو يرسم ما يريد لا ما يفرض عليه المنظر كما كان يفعل "سيزان" أبو الحدائة الأوروبية لكن "عبد الله" كان يرسم بسهولة شديدة ما يرغب فى إيصاله إلى اللتقي.

فى هذه الفترة بدأت الجماعات المتمردة على الفنون الكلاسيكية تنتشر فى مصر إبان الحرب العالمية الثانية ومنها جماعات "المحاولون" و"الفنانون الشرقيون" و"جماعة الفن والحرية" و"السراليون" كان هذا الجيل ينحت طريقه أو طريق تمرده فى صخر الحياة بفكره الطليعي، ف"حامد عبد الله" ولد فى جيل يضم "رسميس يونان" و"كامل التلمساني" و"فؤاد كامل" و"سمير رافع" بالإضافة إلى "إنجي أفلاطون" جيل سعى أبناؤه لحمل راية التجديد فى هذا الزمن ولقد نجحوا فى خلق مدرسة ذات ملامح محلية بحتة.

الفطرية

أخذ "حامد عبد الله" يخفر طريقا خاصا به وهو الاعتماد على الفطرية مع وعى بالأداة التقنية ومساحة الفطرة ليست بمفهوم السذاجة لكن بمفهوم البراءة والنقاء فى تطوير المشهد البصرى وتحديث اللون دون اللجوء لإرهاق الأساليب الأكاديمية وهنا أخذ أسلوبه يتبلور ويتضح لوحة بعد أخرى. اعتمد "عبد الله" على الأجواء العامة المحيطة به: الفلاحون، الأهل، حوار اللقاهى الشعبية، فالوهية عند "عبد الله" سهلت له أشياء عديدة وكأنه يرسم الفلاحين وأحاديثهم وألم الوطن وأوجاع البسطاء كان منحازا للبسطاء.. فقد صور "عبد الله" آداءهم الحركى والبساطة فى خبزهم اليومي.. "حامد عبد الله" فنان مؤسس لفكرة للرحلة هنا خلال المراحل نكتشف عالمه وجغرافية المكان الذى رسم فيه ملامح أبطال لوحاته من خلال التدقيق أكثر سوف نكتشف التاريخ أيضا فقد أرخ بالفن مراحل تاريخية عديدة من مراحل الفلاحين فى المنبيل، ثم فيضان النيل على مصر النوبة، مرحلة الثورة، بناء السد العالي، الهزيمة العسكرية لمصر 1967، الانتصار فى أكتوبر 1973، ثم كامب ديفيد.. ثم مرحلة الحروفية.

فى عام 1942 افتتح "حامد عبد الله" معهد تعليم فنون اللوحة التصويرية وهذه الفكرة كانت موجودة من قبل فى الإسكندرية لكن مدرسة أو معهد "حامد عبد الله" هى أول مدرسة خاصة فى القاهرة وكانت أول تلميذة للفنان هى المبدعة "تحية حليم" التى كان يطلق عليها لقب أم الفنانين المصريين ومن ثم الفنانة "صفية حلمي".. وغيرهم واستمر المعهد يفتح أبوابه للطلبة لتعليم تقنيات وفنون التصوير الزيتي ومهارة الرسم بالأقلام.

أثر تحية حليم فى أعمال عبد الله

تزوج "حامد عبد الله" طالبته "تحية حليم" عام 1944 واستمر يعملان لأربع سنوات قبل أن يقررا السفر إلى الإسكندرية وفى باريس عام 1956 انفصل "عبد الله" عن "تحية حليم" نهائيا وهنا نعود لنقطة ما تركته "تحية" من أثر على "حامد عبد الله" الذى بدأ يرسم اسم "تحية حليم" ويدخل الحرف العربى ويوظفه فى اللوحة كعنصر جمالى يتشابه مع المشاعر الحسية ويتقاطع مع الهوس والألم والحزن الداخلى فى لوحات "تحية" اكتشف "عبد الله" الرغبة فى التصوف من خلال فكرة الاختصار فى الحرف واللون وتوظيف طهر وألم الداخلى وجع البعاد فى جماليات الصورة التشكيلية كحالة حسية رائعة، فى عام 1949 كان "عبد الله" قد شارك فى معرض مصر ضمن قاعات متحف اللوفر خارج المتحف الأساسى وعدة معارض دولية ومحلية لكن معرضه فى المركز المصرى بباريس عام 1951 والقاهرة 1952 أثار اهتماما كبيرا من قبل نقاد فرنسا وفى عام 1956 أقام معرضا شاملا لأعماله خلال 33 سنة بقاعة المعارض التى كانت تابعة لجمعية محبي الفنون الجميلة وكان هذا المعرض حدا فاصلا فى رحلة "حامد عبد الله".

كان "حامد عبد الله" دائب الحركة: فقد عرض فى باريس، أمستردام، سوريا، نيويورك، اليابان، تايوان، الهند، كولومبو، طهران، العراق.. وبعد ذلك قرر الإقامة فى باريس بعد هزيمة 1967، حيث بدأت تتجلى مرحلة الحروفية فى أعماله والحروفية هنا تعبيرية وليست حروفية خطية فهو لم يكتب خطر بأى شكل من أشكاله لكنه طوع الخط إلى فكر تعبيرى، رسم الحرف مدموجا مع الأرض والبشر أو مستخرجا الحرف من باطن أشكاله، عالج الحرف العربى على أرضية ذات تقنيات عالية الأداء. اللوحة مشققة مثل الأرض الجرداء ورمادية اللون حيث أدمج الفنان الألوان الزينية مع ألوان الأكريلك ليخلق عجينة لونية أو تراكيب من طبقات اللون الخاص به ثم دخل من هذه المرحلة إلى أخرى بعد حرب أكتوبر فى 1973، حيث بدأ يدمج الألوان الأكريلكية مع الورق بعد طحن فى شكل عجائن جديدة على سطح اللوحة وبدأت الألوان تعود إلى المراحل الأولى من شبابه، حيث بدأ الأحمر والأصفر يزحف بقوة مع الأزرق النبلى وبدأ الفلاحون والحدادون وأبناء الأحياء الشعبية يعودون لكن بشكل أكثر اختزالا فى اللوحة ذات البناء المعمارى المميز وبدأت الحروفية مثل قوة تعبيرية ذات أساس وعمق فكرى وجدانى تغيرت أسماء اللوحات إلى "الحب" ومن نفس الكلمة يرسم رجلا يصارع امرأة فتتحول الكلمة إلى ليلة عرس وتتحول اللوحة إلى حالة فرح عام للوطن وأقام بهذه المجموعة معرضا بالمركز المصرى فى باريس عام 1975 "الحب والإرادة والانتصار والقوة والحرية ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة" عبارات تأتى كرسم مباشر مثير وتستمر رحلة الحرف عنده حتى عام 1976، حيث ينغلق على نفسه فى حزن شديد بتأثير الأحداث السياسية بزيارة السادات إلى إسرائيل فيصاب بالسرطان وظل يحمل لوحاته ويسافر إلى تونس، بغداد، دمشق، المغرب لا يشعر أحدا بأحزانه لأنه يخفيها خلف كبرياء الفنان وتحت معطفه الأسود، كان رجلا شامخا كريما.

"حامد عبد الله" فنان رائد، لأنه كان دائم التجديد فى مراحل الفنية المختلفة، وإذا ما قارناته بمعاصريه، لما وجدنا من استطاع مثله أن يحافظ على نفس هذا الوهج ويحفظ روح التجريب والمغامرة الفنية على مدى حياته.

فنان الحدائة

انشغل "حامد عبد الله" منذ بداياته بقيم الحداثة في تناوله للحياة اليومية، في شوارع ومقاهي حى المنيل بالقاهرة. ولم يكن ذلك غريبا عليه، شهد للمهى الشعبى بمنيل ضة العديد من رسومه التى انطبعت بالموروث الفرعونى والقبلى والإسلامي. ورغم حداثة سنه آنذاك (20 - 22 سنة) أكدت أعماله اللائية فى تلك الفترة (1937 - 1939) أنه كان متقدما على ما كان معروفا فى مصر فى تلك الفترة، كما كتبت "رولا الزين" فى كتاب "الرسام عبد الله"، إذ كان يبحث ويجرب لكى يتمكن من الذهاب بعيدا وليتحرر من عقبات الفن التقليدي.

ففى كلِّ من مراحلہ المختلفة، كان دائم التجريب، سواء فى مراحلہ التشخيصية أو فى ميله نحو التجريد فى مراحلہ الأخيرة. فامتازت اللائيات، التى بدأها منذ ثلاثينات القرن الماضي، بألوانها اللضية التى تعكس البيئة والناخ فى مصر، من خلال مشاهد من الحياة اليومية للبسطاء. فقدم مجموعات لونية جديدة تماما على الجمهور الغربى.

جداريات

وحين شرع الفنان فى عمل جداريات، بدءًا من الأربعينات، تميز عمله بالتركيب وبالجرأة فى استخدام المساحات اللونية الكبيرة، وبعد عودته إلى مصر إثر جولة أوروبية فى 1951، اتسمت لوحاته التشخيصية بالفورم الأقرب إلى الكتلة النحتية فى تناوله لنماذج شعبية مثلما هو الحال فى لوحات "زلطة" أو "أمومة" أو "محادثة"، حيث ظهرت الخطوط السوداء الحادة التى تبرز القوة فى التعبير. وكتب عنه الناقد الشهير "إيميه آزار": "استمر عبد الله فى تفرغ الأشكال حتى يقدم نبرة الطبقة الاجتماعية المعدمة - لكن الواعية- فى حقيقتها المريرة، مثلما يظهر فى لوحة "زلطة" التى تتميز بتعبيرية قوية وموجزة فى آن واحد".

الحروف كصور وأجساد

ثم تأتى مرحلة ارتجال الخ الخط التجريدي، والتى عكف عليها الفنان وكان رائدا فيها أيضا، فتعامل مع الحروف العربية فى علاقتها بالفورم الإنسانى وليس بمفهوم الخط العربى وقواعده، أو، كما يفسر هذه "الحروفية" الناقد "بدر الدين أبو غازي": انشغل حامد عبد الله بالحرف العربى وجدّد فى تمثيله، مؤسسًا عالمًا تشكيليا لا علاقة له بالزخرف أو الزينة، لكنه اتخذ من الحرف الغاية والوسيلة، يعيد بناءه من جديد ليس بصفته رمزا، بل بصفته للمشركة حرف - فورم أو حرف - صورة، أى أن الحروف تفقد وجودها الصوتى لتصبح أجسادا مستقلة تعبر عن المضمون والمعنى.

يذكر أن معرضه اللقاه بقاعة أفق تم افتتاحه يوم 19 يناير واستمر إلى 8 فبراير 2016.

[fbcomments]